ولقد أحسن كثير في قوله يصف الثغر

ويوم الخيل قد سفرت وكفّت ... رداء العصب عن رتل براد

وعن نجلاء تدمع في بياض ... إذا دمعت وتنظر في سواد

وعن متكاوس في العقص جثل ... أثيث النبت ذي غدر جعاد

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وعلى العيس خرّد يتبسمن ... عن الأشنب الشتيت البراد

كان شوك السيال حسنا فأضحى ... دونه للفراق شوك القتاد

وقال البحتري

وأرتنا خدا يراح له الورد ... ويستحيي التفاح

وشتيتا يغض من لؤلؤ النظم ... ويزري على شتيت الأقاح

وقال أيضا

سفرت كما سفر الربيع الطلق عن ... ورد فرّقه الضحى مصقول

وتبسمت عن لؤلؤ في رصفه ... برد يرد حشاشة المتبول

وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله

كأنما تضحك عن لؤلؤ ... منظم أو برد أو أقاح

وتبسمه
فاضأت تحت الدجنة للشرب
فكادت تضيء للمصباح

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه تعالى جعل الكافر كافرا لأنه أخبر بأنه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس جعله كافرا إلا بأن يخلق كفره الجواب يقال له قبل أن نتكلم في تأويل الآية وما تحتمله من المعاني كيف يجوز أن يخبر بأنه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الأزراء عليهم وأي مدخل لكونه خالقا لكفرهم في باب ذمهم وأي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شيء أبلغ في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقا لما ذمهم من أجله وهذا يقتضي أن يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم أن أحدنا إذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام إنما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم واللوم من فعل كذا أو صنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الأفعال والأحوال قبائحها ولا يجوز أن يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام ومن جهته حتى يقول في جملة ذلك ومن يتشاغل بالصناعة الفلانية التي هو أسلمه إليها وحمله عليها

وإن عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فإن قيل أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم بجعله لهم عابدين الطاغوت وإن كان من فعله قيل إنما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم فجرى ذلك مجرى أفعالهم كما ذمهم بأن لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت وإن كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما يستحق بفعل متقدم كاللعن والمسخ ثم نعود إلى تأويل الآية فنقول لا ظاهر للآية يقتضي ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الأخبار بأنه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في أنه تعالى هو خالق الكافر وأنه لا خالق له سواه غير أن ذلك لا يوجب أنه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم أن يقولوا كما يستفيد من قوله جعل منهم القردة والخنازير وأنه جعل ما به كانوا كذلك هكذا يستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت أنه خلق ما به كان عابدا للطاغوت وذلك أنا إنما

قلنا

استفدنا ما ذكروه من الأول لأن الدليل قد دل على أن ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون إلا من فعله وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالى عن فعل ذلك وخلقه فافترق الأمران وفي الآية وجه آخر وهو أنه لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لأن عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم والأولى عطفه على ما تقدم من الأفعال وقال قوم يجوز أن يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء والميم في منهم فكأنه جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد تحذف من في الكلام قال الشاعر

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن يمدحه وينصره

فإن قيل فهبوا هذا التأويل ساغ في قراءة من قرأ وعبد الطاغوت بالفتح في القراءتين